

4310

**27832**  
*repère à reporter sur la copie*

**SESSION DE 2003**

**concours externe  
de recrutement de professeurs agrégés**

**section : arabe**

commentaire en langue française

**Durée : 6 heures**

*L'usage de dictionnaires arabes unilingues est autorisé  
Tout autre document et tout matériel électronique sont interdits*

**Commentez le texte suivant.**

**Tournez la page S.V.P.**

وأكثر هذه الجهات الحجازية وسواها فرّق وشيخ لا دين لهم قد تفرّقوا على مذاهب شتى . وهم يعتقدون في الحاجّ ما لا يُعتقد في أهل الذمّة ، قد صيروهم من أعظم غلّاتهم التي يستغلّونها : ينتهبونهم انتهاباً ، ويسبّبون لاستجلاب ما بأيديهم استجلاباً . فالحاجّ معهم لا يزال في غرامة ومؤونة إلى أن يسير الله رجوعه إلى وطنه . ولولا ما تلاقى الله به المسلمين في هذه الجهات بصلاح الدين لكانوا من الظلم في أمر لا ينادى وليدّه ولا يلبّين شديده . فإنه رفع ضرائب المكوس عن الحاجّ وجعل عوض ذلك مالاً وطعاماً يأمر بتوصيلهما إلى مكّث أمير مكّة ، فمضى أبطأت عنهم تلك الوظيفة المترتبة لهم عاد هذا الأمير إلى ترويع الحاجّ وإظهار تثقيفهم بسبب المكوس . واتفق لنا من ذلك أن وصلنا جدّة ، فأمسكنا بما خلال ما خوطب مكّث الأمير المذكور . فورد أمره أن يضمن الحاجّ بعضهم بعضاً ويدخلوا إلى حرم الله ، فإن ورد المال والطعام اللذان برسمه من قبل صلاح الدين وإلا فهو لا يترك ماله قبل الحاجّ . هذا لفظه ، كأنّ حرم الله ميراث بيده محلّل له اكترأوه من الحاجّ . فسبحان مُغيّر السنن ومبدّلها .

والذي جعل له صلاح الدين ، بدلاً من مكس الحاجّ ، ألفاً دينار اثنان وألفاً إردب من القمح ، وهو نحو الثمانمائة قفيز بالكيل الإشبيلي عندنا ، حاشا إقطاعات أقطعها بصعيد مصر وبجهة اليمن لهم بهذا الرسم المذكور . ولولا مغيب هذا السلطان العادل صلاح الدين بجهة الشام في حروب له هناك مع الإفرنج لما صدر عن هذا الأمير المذكور ما صدر من جهة الحاجّ . فأحقّ بلاد الله بأن يطهرها السيف ويغسل أرجاسها وأدناسها بالدماء المسفوكة في سبيل الله هذه البلاد الحجازية لما هم عليه من حلّ عرى الإسلام واستحلال أموال الحاجّ ودمائهم .

فمن يعتقد من فقهاء أهل الأندلس إسقاط هذه الفريضة عنهم فاعتقاده صحيح لهذا السبب وما يُصنّع بالحاجّ مما لا يرتضيه الله عزّ وجلّ . فراكب هذا السبيل راکب خطر ومعتسف غرراً . والله قد أوجد الرخصة فيه على غير هذه الحال ، فكيف وبيت الله بأيدي أقوام قد اتخذوه معيشة حرام وجعلوه سبباً إلى استلاب الأموال واستحقاقها من غير حلّ ومصادرة الحاجّ عليها وضرب الذلة والمسكنة الدنيّة عليهم ، تلافها الله عن قريب بتطهير يرفع هذه البدع المُحجّفة عن المسلمين بسيوف الموحّدين أنصار الدين ، وحزبُ الله أولي الحقّ والصدق ، والذائبين عن حرم الله عزّ وجلّ ، والغائرين على محارمه ، والجادّين في إعلاء كلمته وإظهار دعوته ونصر ملّته . إنه على ما يشاء قدير ، وهو نعم المولى ونعم النصير .

وليتحقق المتحقق ويعتقد الصحيح الاعتقاد أنه لا إسلام إلا ببلاد المغرب ، لأنهم على حادة واضحة لا بُنَيَات لها . وما سوى ذلك مما بهذه الجهات المشرقية فأهواء وبدع ، وفرق ضالة وشيع ، إلا من عصم الله عز وجل من أهلها . كما أنه لا عدل ولا حق ولا دين على وجهه إلا عند الموحدين ، أعزهم الله ، فهم آخر أئمة العدل في الزمان . وكل من سواهم من الملوك في هذا الأوان فعلى غير الطريقة ، يعيشون تجار المسلمين كأهم أهل ذمة لديهم ، ويستجلبون أموالهم بكل حيلة وسبب ، ويركبون طرائق من الظلم لم يسمع بمثلا ، اللهم إلا هذا السلطان العادل صلاح الدين ، الذي قد ذكرنا سيرته ومناقبه ، لو كان له أعوان على الحق !

ومن عجيب ما شاهدناه في أمر الدعوة المؤمنية الموحدية وانتشار كلمتها بهذه البلاد واستشعار أهلها لملمتها أن أكثر أهلها بل الكل منهم يرمزون بذلك رمزا خفيا ، حتى يؤدي ذلك بهم إلى التصريح ، وينسبون ذلك لآثار حدثانية وقعت بأيدي بعضهم أنذرت بأشياء من الكوائن فعابنوها صحيحة . فمن بعض الآثار المؤذنة بذلك عندهم أن بين جامع ابن طولون والقاهرة برجين مقترنين عتيقي البناء ، على أحدهما تمثال ناظر إلى جهة المغرب وكان على الآخر تمثال ناظر إلى المشرق ، فكانوا يرون أن أحدهما إذا سقط أنذر بغلبة أهل الجهة التي كان ناظرا إليها على ديار مصر وسواها . وكان الاتفاق العجيب أن وقع التمثال الناظر إلى المشرق فتلا وقوعه استيلاء الغز على الدولة العبيدية وتملكهم ديار مصر وسائر البلاد . وهم الآن متوقعون سقوط التمثال الغربي وحدثان ما يؤملونه من ملكة أهله لهم إن شاء الله .

ولم يبق إلا الكائنة السعيدة من تملك الموحدين لهذه البلاد ، فهم يستطلعون بها صبحا جليا ويقطعون بصحتها ، ويرتقبونها ارتقاب الساعة التي لا يمترون في إنجاز وعدها . شاهدنا من ذلك بالإسكندرية ومصر وسواهما مشافهة وسماعاً أمراً غريباً يدل على أن الأمر العزيز أمر الله الحق ودعوته الصديق . ونمي إلينا أن بعض فقهاء هذه البلاد المذكورة وزعمائها قد حبر خطباً أعدّها للقيام بها بين يدي سيدنا أمير المؤمنين ، أعلى الله أمره ، وهو يرتقب ذلك اليوم ارتقاب يوم السعادة وينتظره انتظار الفرج بالصبر الذي هو عبادة . والله عز وجل يسطها من كلمة ، ويعليها من دعوة ، إنه على ما يشاء قدير .

من رحلة ابن جبير